المشكلة الأولى

أزمـــة الـــزواج

١ ـ الأزمة هى الشدة والضيق، وتعقد الأمر وخطورة نتائجه وصعوبة حله. وأزمة الزواج توجد عند مجاوزة الحد الطبيعى والمعقول لتجاذب الجنسين وتكوين الأسرة بالزواج، فالمشاهد أن نضج الفتى والفتاة عند سن البلوغ يجعلهما صالحين للزواج، كنتيجة طبيعية للميل الجنسى العارم عند كل منهما، والذى يجب أن يجد له متنفساً طبيعياً ومشروعاً فى الوقت نفسه، لأنه أولاً طاقة من الطاقات المودعة فى الجسم الإنسانى، وهو ثانياً ثورة عنيفة فى داخل الأجهزة الجسمية يجب أن يفسح لها الطريق، فهو طاقة للتناسل لعمارة الكون، وهو تحول كيماوى خطير يجب أن يتقى شره، ولا يصح كبته، كما لا تكبت الإفرازات التى يحاول الجسم التخلص منها، وقد أشرت إلى ذلك فى الأجزاء السابقة.

فلو لم تجر الأمور على عادتها الطبيعية عند الفتى والفتاة فى أوان التهيؤ الجنسى المشروع كانت هناك أزمة يجب التنبه لأخطارها والبحث عن أسبابها، ومحاولة إيجاد الحلول لها. فأزمة الزواج قد تكون عند نقص العدد اللازم من الذكور أو الإناث، وقد تكون عند الانصراف عنه مع توافر الرجال الصالحين والنساء الصالحات لتكوين الأسرة. وهذا الانصراف قد يكون من المرأة عندما تصمم مثلاً على الزواج من شخص ذى مواصفات خاصة، وضعتها مخيلتها لفتى أحلامها، وليست هذه الصفات متوفرة فى كثير من الرجال أو أكثرهم، وقد يكون الانصراف من الرجل عندما يصمم هو أيضاً على الزواج من امرأة فيها كل مواصفات الكمال التى يندر وجودها مجتمعة فى قلة من النساء.

وهذه الأزمة قد تكون محلية فى قرية أو مدينة، وقد تشمل قطراً أو دولة بأجمعها، وقد تسود العالم كله عند وجود ظروف عالمية متشابهة.

والنسبة العددية وحدها ليست مقياساً يرجع إليه فى تقييم[1] الأزمة، كمن قالوا: إن كثرة النساء وزيادة عددهن على عدد الرجال بفارق كبير يوجد أزمة للزواج منهن، ذلك أنه فى إحصاء مصر مثلاً سنة ١٩٣٧ كان عدد الذكور ٧,٩٤٧,١٩٣ وعدد الإناث ٧,٩٥٧,٣٣٢ ومع ذلك كانت هناك أزمة زواج، والولايات المتحدة الأمريكية بلغ عدد ذكورها ٦٢,١٣٧,٠٠٠ وعدد إناثها ٦٠,٦٣٨,٠٠٠ حسب تعداد سنة ١٩٣٠، ومع ذلك كانت تصرخ من النفور من الزواج[2].

٢- إن أزمة الزواج تترتب عليها نتائج سيئة خطيرة، بل قد تنتج عنها مشاكل وطنية أو خلقية، فقد يكون البلد فى حاجة إلى النسل لمواجهة أخطار الحرب، أو استغلال خيرات الأرض، أو تنفيذ مشروعات الإصلاح.

والشبان فى ظل الأزمة قد يحاولون إيجاد منفذ لإرضاء الشهوة الجنسية، باتصال غير مشروع أو عبث بأشياء ترضى نزوتهم إلى حدما، وفى ظلها قد تحاول الشابات بأنفسهن البحث الجدى عن شريك مناسب للحياة، إن عَفّت أنفسهن عن الأسباب الغير المشروعة لتلبية نداء الغريزة، تلك الأسباب التى يجرؤ الشبان على التورط فيها، ولا تجرؤ مثلهم الفتيات عليها تديناً أو تقيداً بالعرف الشديد.

وفى ظل أزمة الزواج تلجأ الأمهات إلى طرق من الدجل للعثور على «ابن الحلال» الذى يليق بالبنت، التى تخشى أن يفوتها قطار الزواج، وتتلافى تعليقات الناس، وهى مرة قاسية، إن لم ينفق سوق زواجها.

واللجوء إلى الدجل وتصديق الخرافات فى هذا السبيل أمر قديم معروف، وكان العرب فى الجاهلية يمارسونه عن طريق عمل التمائم أو استنطاق الودع أو

---

(١) التعبير الصحيح هو «تقويم» مأخوذ من قولهم: قَوَّم الشئ أى جعل له قيمة. ولا يقال: قيَّم، وقد ألجأ إلى الاستعمال الشائع من باب التيسير.

(٢) الاقتصاد السياسى للدكتور عبد الحكيم الرفاعى، ج١، ص٤٢٢، ٤٢٨، ٤٣٥.

استفتاء الرمل... ذكر السيد / محمود شكرى الألوسى فى كتابه «**بلوغ الأرب فى معرفة أحوال العرب**» أن المرأة فى الجاهلية كانت إذا عسر عليها الزواج نشرت جانباً من شعرها، أو كحلت إحدى عينيها، وحجلت على إحدى رجليها، وخرجت ليلاً، وهى تقول: يالكاح، أبغى النكاح، قبل الصباح. فيسهل أمرها، وتتزوج قريباً. اهـ.

وبعض من نساء اليوم يسعين عند المحترفين للدجل من أجل عمل حجاب أو الكتابة على أثر من شاب ليتقدم للزواج من بناتهن، بل ويسلكن سبلاً أخرى من الشفاعات وتوسيط المحترفات للخِطْبة، وغير ذلك من وسائل تعجلاً لزواج البنات وفك «عقدتهن».

والمفكرون بحثوا كثيراً فى إيجاد حل لهذه الأزمة، وكان البحث على أساس من نظريات أومن إجراءات غريبة عن مجتمعنا الشرقى وديننا الإسلامى، ولم يهتدوا إلى الحل على الرغم مما بذلوا من جهد، محاولين إلقاء تبعة الأزمة على طرف من طرفى الأزمة، أو على سبب واحد من الأسباب الموجدة لها، وابتدءوا البحث من حيث انتهوا، لأنهم لم يسترشدوا بهدى الله، أو لم يرتضوا الحل الذى شرعه الدين.

وعلاجنا للأزمة هنا هو علاج للأسباب المؤدية لها، وسنرى أنه هو العلاج الأمثل، لأنه من وحى الهدى الإلهى الذى جاء مفصلاً فى أجزاء الكتاب السابقة.

ومن طريف ما يذكر فى هذا السبيل أن بعض المشرعين لجئوا إلى فرض ضريبة على العزاب، بغية إرغامهم على الزواج، وكل علاج يأتى إكراهاً دون أن يكون نابعاً من اقتناع النفس لا يثمر ثمرته المرجوة، لأن تنفيذه يصحبه التململ والضيق، وكل ضيق يجتهد فى ابتكار المنافذ له بأى وسيلة من الوسائل.

إن هذا الإجراء قديم، فقد لجأ إليه الرومان فى العهد الأخير للجمهورية، ويقول المؤرخون: لعل السبب فى هبوط معدل الزيجات إذ ذاك هو ازدياد ثراء

النساء، وكثرة ما حصلن عليه من الحقوق والامتيازات، فكره الرجال ما ظهر فيهن من الاستقلال والاعتداد بالنفس والميل إلى التسلط والسيادة بسبب زيادة ثرائهن على الرجال. ولقد كتب «بلوتارخ» عن هؤلاء النسوة فقال: إن الرجال الذين يتزوجون نساء أكثرمنهم ثراء يصبحون بعد فوات الوقت عبيد نسائهم.

والواقع أن المرأة الرومانية جاء عليها وقت انحلت فيه أخلاقها إلى درجة كبيرة، كما سبق ذكره فى الجزء الثانى الخاص بالحجاب، وكان ذلك ممهداً لتحلل الخلق الرومانى بوجه عام وتصدع الامبراطورية وانحطاطها. وتحرر المرأة الرومانية كان عاملاً من العوامل التى أدت إلى انتشار العزوبة خلال القرون الأخيرة من العهد الجمهورى؛ والقرن الأول من العهد الامبراطورى، وكان أساس هذه الظاهرة الانحلال المستمر فى المثل القديمة للأسرة الرومانية، بل والمثل الأخلاقية عامة، نتيجة لحروب روما التوسعية وتدفق الثروات عليها من جراء هذه الحروب الظالمة، ومن الضرائب المفروضة على المستعمرات وانتشار الرق، كل ذلك خَلَق طبقة عاطلة من الرومانيين لا همّ لهم إلا الرفاهية.

وكل ذلك أثر على المثل السليمة للحياة الاجتماعية والحياة الزوجية بصفة خاصة، حيث كثر التسرى الذى لا يتقيد فيه بزواج، ويسمح للرجل بالوقت الكافى للهو والمرح. وقد أثر هذا أيضاً على المرأة فى ظهور خليعات كثيرات يعشن فى هذا الجو الفاسد، حتى كن، كما وصفن أنفسهن، أفجر وأرذل نساء العهد القديم. وأصبحت العزوبة فى ذلك العهد مصدر خطر كبير على الدولة الرومانية.

وكثرت صيحات المصلحين بالمبادرة بالزواج حفظاً للامبراطورية من الانهيار. ومن هؤلاء المنادين بالزواج «متيلوس ماسيدونيكوس» الرقيب الرومانى سنة ١٣١ق.م، ولكن لم يستجب له.

وقد فكر يوليوس قيصر أن يشجع الزواج عن طريق منح المكافآت المالية، واقترح عام ١٨ق.م. سنّ قانون بفرض عقوبات على غير المتزوجين وبعد معارضة

صدر القانون سنة ٣ ق.م وفى سنة ٩م صدر قانون «باپيا پوبيا» حرم فيه على غير المتزوجين الذين تتراوح أعمارهم بين ٢٠، ٥٠، وحرم أيضاً على غير المتزوجات اللاتى تراوح أعمارهن بين ٢٠,٢٥ ٦٠ سنة أن يرثوا إلا إذا تزوجوا فى غضون مائة يوم من صدور هذا القانون.

ولكن هذه القوانين الصارمة لم تؤد إلى الغرض المنشود، بل ظل العزاب ماضين فى لهوهم، بعيداً عن قيود الزواج، وكما فرضت الرومان قديماً ضريبة على العزاب فرضت دول حديثة كروسيا [١] ولجأت دول أخرى إلى طرق غريبة فيها بعض الطرافة، كما نشرت بعض الصحف.

ففى جريدة «آخر لحظة» الصادرة يوم الأربعاء ٢٣/٧/١٩٥٢ خبر من «أوروا» فى ولاية «الينوى» أن فتيات هذه المدينة غير راضيات عن سلوك الشبان الذين أعرضوا عن الزواج، ففكرن فى حيلة لتأديبهم حتى يتزوجوهن، وذلك أنهن بدأن غزو الوظائف التى كانت مقصورة على الرجال، كوظيفة العمدة والسجّان، وبدأن تنفيذ برنامج الانتقام من الشبان، فقد صدر الأمر إلى البوليس النسائى باعتقال كل شاب عزب لا يقدم أسباباً معقولة لإضرابه عن الزواج، وملئت بهم السجون، وحوكموا أما امرأة قاضية، وكان أخف الأحكام غرامة مالية لا تزيد على أربعين شلناً بشرط التعهد بالتفكير فى الزواج فى أقرب وقت ممكن، والذى لا يدفع الضريبة يؤخذ جزء من دمه للجرحى فى ميدان القتال فى كوريا.

وتسببت هذه الحالة فى إحداث ذعر بين أنصار العزوبة، فاختفى الشبان فى منازلهم، وامتنعوا عن الذهاب إلى أعمالهم، حتى لا يقعوا فى قبضة البوليس النسائى «مصاص الدماء» وأقدم كثير منهم على الزواج.

إن علاج أزمة الزواج يكون كما ذكرت بعلاج الأسباب المؤدية إليها، وأكرر

---

(١) مجلة رابطة الإصلاح الاجتماعى.

التنبيه إلى أن إلقاء الجزء الأكبر من التبعة على زيادة عدد النساء على الرجال، حكم خطأ، فإن هذا قد يكون فى مناطق خاصة ولدتها عوامل طبيعية أو عوامل أخرى، فبينا نجد عدد النساء فى بلاد الاسكيمو وأواسط أفريقيا يفوق عدد الرجال بقدر كبير جداً، ويصل إلى حده الأقصى فى «برجواى» بأمريكا الجنوبية حيث تصل النسبة إلى إحدى عشرة امرأة لكل رجل، كما يقول الرحالة محمد ثابت (١) نجد أن منطقة ألاسكا ـ قرية صغيرة بجنوبى ألمانيا ـ تعلن كثيراً عن حاجتها إلى عدد كبير من النساء للإنتاج. وفى بريطانيا، كما جاء فى آخر إحصاء قبل سنة ١٩٤٩م، كان عدد النساء فى أرجاء المملكة، ومن بينها «الدومنيوم» يزيد بمقدار ١,٨٨٦,٦٠٦ على عدد الرجال فى حين أن الرجال يزيدون على النساء بمقدار ٣٧٢,٢٩٦ فى كندا، ونحو مائة ألف رجل فى استراليا، ولذلك فتح باب الهجرة من بريطانيا، وروعيت فيه أولوية النساء (٢).

ولسنا بحاجة إلى بيان كثرة النساء فى أوروبا وأمريكا، وبخاصة بعد الحرب التى طوحت بالكثير من الرجال، الأمر الذى تسبب فى أزمة زواج، لكن لم يدرك أثرها بوضوح، لأن التلاقى الجنسى كان ميسوراً بغير طريق الزواج الشرعى، فإن غرضنا هنا بيان أسباب أزمة الزواج فى السنوات الأخيرة، ذلك الزواج الشرعى فى البلاد التى تدين بالإسلام، إن هذا الزواج هو الوسيلة الوحيدة لتكوين الأسر المستقرة، وهناك من القوانين والحدود الشرعية ما يسد كل طريق أمام العدول عنه إلى وسائل أخرى غير مشروعة.

ومن الخطأ أن نحصر أسباب الأزمة فى سبب واحد، أو تلقى التبعة على أحد الجنسين دون الطرف الآخر، فإن الأسباب متعددة، وكلها تؤثر على المشكلة، مع تفاوت بعضها عن البعض فى قوة هذا التأثير، بل إن الحالة العامة وظروف كل بلد من العوامل الهامة فى إيجاد الأزمة المحلية.

---

(١) حديث له بالإذاعة المصرية فى ٢٨/٩/١٩٤٩.

(٢) مجلة الهلال أول نوفمبر ١٩٤٩م.

على أننا لو حللنا هذه الأسباب وأرجعناها إلى أصولها الأولى لوجدنا أنها تنبثق عن علة كبرى، ولا يمكن علاجها إلا باستئصالها.

فما من شك أن هذه المشكلة لم تنشأ فى بلادنا الإسلامية إلا بعد أن ضعف سلطان الدين على النفوس، وانتشرت على أثره سموم التعاليم الخاطئة التى عكست فى أنظار الناس صور الحياة، فاختلط عليهم الخير بالشر. أما قبل ذلك فلم نسمع أن بلادنا الإسلامية أصيبت بمثل هذه المحنة، فإن الدين كان يهيمن على نفوس الناس، عارفين تماماً أنه جاء لمصلحتهم، فساروا على نهجه، واستقاموا على طريقته، فلم يقعوا فيما يشكو منه الناس الآن، الذين نظروا إلى الزواج كأنه شركة تجارية يستغل فيها كل من الطرفين ما عند الآخر، وفهموا أن المهور هى أثمان تدفع للنساء أو أوليائهن، فاشتطوا فيها، وساوموا عليها، وأن الجهاز وما يتبعه عنوان لقيمة المرأة، فصرفوا همهم إليه. وأنى لمتوسط الحال أن يضع عنقه فى هذه الأغلال.

ولو نظرنا إلى تلك العلل والأسباب التى ولدت الأزمة لوجدنا أنها تتصل بأحوال اقتصادية أو خلقية أو نفسية أو أحوال مدنية عامة، وسأتناول توضيح هذه الأمور مهتدياً بما سار عليه الشيخ «**حسين سامى بدوى**» فى بحثه الذى نشره بمجلة الإسلام [1] فأقول:

الأسباب الاقتصادية:

لكل من الرجل والمرأة نصيب فى الأسباب الاقتصادية التى نتجت عنها أزمة الزواج، ونصيب المرأة أو وليها يظهر فيما يلى:

(أ) التعسف فى تقدير المهر وما يتبعه مما يسمى بالشبكة، والهدايا الأخرى.

(ب) نفقات حفل الخطوبة والعقد والزفاف.

(جـ) إعداد الجهاز للعروس.

---

(١) المجلد الرابع، عدد ٧.

(د) اشتراط مسكن له مواصفات خاصة.

١ - إن المهر ليس قيمة للمرأة تباع أو تشترى به، ويساوم عليه كما يساوم على الحيوان والمتاع، بل هو عنوان لتكريمها، وتفرقة لها بين الحرة العفيفة والعاهرة البغى والمملوكة باليمين، وهو تعويض رمزى عما فاتها من حق المساواة بالرجل فى السلطة الأدبية والرياسة الشرفية، قال تعالى: ﴿ **وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً** ﴾ [النساء: ٤]، والقليل من المال بهذا العنوان المفهوم هو والكثير سواء.

ولو كان لقيمة المهر دخل فى تقويم المرأة وتكريمها لكان الرسول صلى الله عليه وسلم والسلف الصالح أولى بمراعاة ذلك، لكنهم لم يأبهوا به، كما سبق ذكره فى المبحث الخاص بالمهور. وكان بعض العرب العقلاء لا يتغالون فى تقدير مهر البنت كالحرث بن هشام الذى ساق بنته ومهرها إلى زوجها، ورد إليه كل ما دفعه إليه، وبهذا راج سوق بناته وتزوجن بسرعة[١] وقد أشير إلى ذلك فى الجزء الأول.

إن الرجل الذى يُطلب إليه أن يدفع المهر الغالى قد يستطيع أن يحضره من أى وجه كان، ثم يسدده إن كان دَيْناً بعد أن تتم إجراءات الزواج، ويدخل بزوجته التى تلجئه إلى نفقات أخرى ما كان يعمل لها حساباً حين استدان ووعد بالأداء، فيقع فى الشرك وتسوء حالته المالية. وتصوّر أنت ما يتبع ذلك من آثار سيئة على الزوجة أولاً وبالذات.

أما الهدايا التى تتبع المهر فهى تقليد قديم وحديث معاً يكاد يكون منتشراً بين جميع الشعوب، وتقدم الحديث عنها فى صور من الخطوبة والزواج عند الأمم المختلفة، والإسلام لا يرهق الناس من أمورهم عسراً، ولا ينبغى أن تكون محل مساومة يقبل أو يرفض على أساسها الزواج.

٢- والحفلات التى تقام لمناسبة الزواج عند الخطوبة أو العقد أو الزفاف أو عندها

---

(١) المستطرف، ج٢، ص١٨٨.

جميعاً لها أصل من الدين، ولكن بغير الصورة التى نراها اليوم عند المسلمين، من مثل احتساء الخمور والرقص وغيرهما، وما جاء به الإسلام قد مر ذكره فى الحديث عن الغناء والطرب وعن اجتماع الشهود للعقد وعن الوليمة.

٣ـ والجهاز كذلك ليس عنواناً لتقدير المرأة، فرب امرأة رقيقة الدين غير كريمة الأصل أتخمت بيت زوجها بفاخر الأثاث ووثير الفراش، وكان الزواج مع ذلك كله كخاتم ذهب فى إصبع مقروحة، فإن سعادة الزوجين ليست فى هذه المظاهر، بل فى الأخلاق والدين، والتوافق فى الإحساس وتبادل عواطف الحب.

وكما قلنا لو كان الجهاز عنوان تكريم للمرأة لكان أولى بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم والسلف الصالح، أخرج الإمام أحمد فى المناقب عن على: كان جهاز فاطمة رضى الله عنها خميلة، أى بساطا له خمل أى هدب، وقِرْبة ووسادة من أدَم، أى جلد، حشوها ليف. وفى بعض الروايات: وجُعل لنا سرير مشروط، أى فيه شرائط أى خوص مفتول بشرط أى يشد به السرير. وفى رواية: أربع وسائد. وقيل: كان لهما جلد كبش يفرشانه بالليل ويعْلفان عليه الناضح، أى الناقة، بالنهار.

٤ـ واشتراط مسكن معين تتحكم فيه عوامل كثيرة، وكثير من البلاد الإسلامية يشكو أزمة المساكن، فلا ينبغى أن يكون ذلك عقبة فى سبيل تكوين أسرة يرجى لها أن تسهم إسهاماً طيباً فى إسعاد المجتمع. فإن سَمَّ الخياط مع الأحباب ميدان، وإن الدنيا على سعتها ضيقة عند عدم التوافق الروحى والانسجام النفسى. وقد تقدم فى بحث مقاييس اختيار الزوجين توضيح الاهتمام بغنى الزوج وثرائه، أو الزوجة وثرائها، مع ضعف القيم الأدبية الأخرى. كان أبو بكر رضى الله عنه يقول فى قوله تعالى: ﴿**إن يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ من فَضْلِه**﴾ أنجزوا ما أمركم الله به من الزواج ينجز لكم ما وعدكم من الغنى «تفسير ابن كثير» وكان عمر يقول: عجبى ممن لا يطلب الغنى فى الزواج وقد قال الله

تعالى: ﴿ **إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله** ﴾ فلا ينبغى أن يستسلم الإنسان للهواجس، وبخاصة إذا لم يعصمه دين أو خلق عن التردى فى المهاوى لو وقفت الحالة الاقتصادية عقبة فى سبيل زواجه، فالله يقول: ﴿ **الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلاً** ﴾ [البقرة: ٢٦٨].

الأسباب الخلقية:

أكثر هذه الأسباب ناشئ عن التأثر بالحضارة الغربية والتحلل من القيود الدينية ومن الأخلاق الإسلامية، ولكل من الرجل والمرأة سهم فى هذا الموضوع.

فسوء خلق الفتاة يظهر فيما يأتى:

١ـ عدم محافظتها على شرفها، وذلك باختلاطها بالأجانب عنها، وعدم التحرج من بذل عرضها لغيرها، ومغازلتها للشبان دون حياء، تأثراً بالحرية التى تطاير شررها إلينا من البلاد الغريبة عنا فى أخلاقها ودينها ونظام حياتها. وهذه الحرية التى تطورت إلى إباحية جعلت كثيراً من الشبان ينصرفون عن الزواج من هؤلاء الفتيات لعدم الثقة فيهن، ولأنهم أوجدن شكاً فى غيرهن من الفتيات المصونات، قياساً للغائب على الشاهد، وفى الوقت نفسه يجد الشاب فى السوق الجنسية ولو بمقدماتها ما يرضى نزوته إلى حد ما، فيجعل تفكيره فى الزواج قليلاً.

والذى جر الفتاة إلى هذا المنزلق هو إعجابها بمظاهر المدنية الغربية، ووقوعها تحت تأثير الأفلام الغرامية المثيرة، وقراءتها للصحف والمجلات الخليعة، والانخداع بالآراء التحررية من دعاة السفور والاختلاط فى الأسواق والجامعات والمصايف والحفلات العامة وغيرها، وإهمال أولياء الأمور فى تربيتهن على مبادئ الفضيلة التى أقفرت منها نفوسهم، قبل أن تقفر منها نفوس ناشئتهم، وبالتالى التهاون فى مراقبة سلوكهن تأثراً أيضاً بحرية الفتاة وعدم كبت عواطفها فى هذه السن المشبوبة.

٢ـ كما يظهر سوء أخلاقها فى نظرها بعد الزواج إلى زوجها نظرة الصديق

أو الزميل، ومعاملتها له معاملة الند للند، لا تطيع له أمراً إلا بعد تلكؤ، ولا تحقق له رغبة إلا بعد تمنع، ولا ترحم ما ليته فترهقه بالكماليات التى ينوء بها ظهره، ولو حاول تهدئة ثورتها لعدم تمكنه من إجابة طلبها خاصمته، ولجأت إلى المحاكم التى تجد حولها من يرتزقون من مشاكل الناس، فيتولون الأمر عنها بالدفاع والشهود وما إلى ذلك.

والرجل إذا وجد الفتاة العصرية بهذه الصورة يفكر ملياً لماذا يضع عنقه فى هذا الغل الذى يحدث عنه المجربون، ويرى صورته ماثلة أمامه فى المجتمع، أو يكون قد ذاق من قبل مرارته فى زواج سابق، فهو ينجو بنفسه عن تكرار التجربة، التى يضيع فيها شبابه وشرفه.

وسوء خلق الفتى يظهر فيما يأتى:

١ ـ ميوعته وضياع رجولته، لضعف سلطان الدين على نفسه، وتحلله من قيود الشرف والفضيلة، فهو يلجأ فى صرف شهوته، التى هى الدافع القوى إلى الزواج، إلى طريق غير كريم، من الزنى أو غيره، مما قال الله فيه ﴿ **فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ** ﴾ [المؤمنون: ٧]، أى وراء الزواج وملك اليمين.

والزنى معروف أنه حرام يكفر مستحله، ويستتاب فاعله فإن لم يتب قتل ارتداداً. وقد دعا إلى هذا المخرج بعض من ضعف عندهم الوازع الدينى والضمير الأدبى، من الكتّاب المتحللين من قيود الدين، فشجعوا فتح البيوت للدعارة من أجل أمثال هؤلاء الشبان، وتغاضوا عما يجرى سراً فى البيوت من الاتصالات المحرمة، لأنهم موبوءون. وأما تصريف المادة بغير الزواج فقد مرت الإشارة إليه فى الجزء الأول.

والذى جرأ الفتى على التمتع الجنسى غير المشروع وانصرف به عن الزواج هو سلوك الفتاة وسهولة إمتاع الفتى بما يريد منها، فما الذى يحوجه إلى الزواج وفى كل يوم له زوجة أو زوجات بغير تبعات ترهق ميزانيته، وإن كانت ترهقه فى صحته وشرفه ودينه.

٢ ــ كذلك يظهر سوء خلق الفتى فى عدم احترامه للرابطة الزوجية، وفهمه أن المرأة أمة مستعبدة عنده، فهو يقسو عليها ويعاملها كالخدم، وقد يتركها وحيدة فى البيت، ويسهر حيث يشاء بين أحضان الصديقات والخليلات.

إن عاقبة هذا الزواج هو الفشل فى أغلب أحواله، والفتاة التى تسمع بمثل هذه المعاملة وهذا السلوك قد تؤثر أن تبقى بدون زواج حتى يبعث الله لها من يحترمها، ويؤدى لها حقها كآدمية مكرمة.

إن هذه الأسباب وما يليها من أسباب لأزمة الزواج لا أعفى منها المسؤلين فى كل دولة، فهم قادرون على سَنِّ تشريعات تحمى النشء من الانزلاق فى الرذيلة، حتى يسارع إلى الزواج المشروع الآمن المستقر، لكن الذى يؤسف له أنهم وضعوا قوانين تحمى هذا المجون باسم الحرية، وخلت برامج دراساتهم من كل ما يُحَصِّن العقيدة والخلق، وتغاضت عن كل ما ينشر من كتب ومجلات وما يعرض من صور وأفلام.. مما تدهورت معه أخلاق الشباب، بل الناس بوجه عام، وقد تقدم توضيح ذلك فى بحث الانحراف فى الجزء الرابع من هذه الموسوعة.

الأسباب الحضارية والمدنية:

هذه الأسباب لها دخل كبير فى أزمة الزواج، فإن المدنية أوجدت للإنسان كل مطالبه التى كان يصعب عليه الحصول عليها بدون الزواج، فإعداد طعامه وشرابه، وتهيئة ملابسه ومسكنه، كل ذلك قام بمجهودات حديثة يَسَّرت للإنسان الحصول عليه بدرجة من الإتقان لا تتيسر لكثير من نساء اليوم، وأى خادم يستطيع أن يعد للرجل كل ما يحتاجه من المطالب المادية.

على أن المدنية قد أعدت له أيضاً ما يحتاجه من المتع الجنسية، بإباحة البغاء والترخيص لدور اللهو والملتقيات الجنسية المختلفة، وتبرير الاتصال ما دام بالرضا، تحقيقاً للحرية التى دخلت كل الدساتير الحديثة دون تحديد صحيح لها، والقوانين لا تتدخل إلا عندما يكون هناك ضرر عام أو اعتداء على حرية الغير، إذا كانت هناك استغاثة واستعانة بالمسؤلين، وبهذا أصبحت المرأة معروضة مبتذلة

فى ميادين العمل المختلفه ودور الترفيه المتنوعة. والرجل وإن يسرت له المتعة بها فهو يمجها ويمقتها، ويرحم الله القائل:

عرضنا أنفسا عزت علينا عليكم فاستخف بها الهوان
ولو أنا منعناها لعزت ولكن كل معروض مهان

كما أن التمدن جعل الفتى والفتاة ينشد كل منهما أمله فى قرين يجيد الطقوس المدنية الحديثة فى المجالس والمراقص وما إليها، وهل كل ذلك متوفر؟ راجع بحث اختيار الزوجين.

الأسباب الخاصة:

هناك أسباب نفسية لا صلة لها بدين أو ثروة، بل هى أفكار ولدتها البيئة عند بعض الأشخاص صرفتهم عن الزواج، وقد مر بعض هذه الأسباب فى الجزء الأول من هذه الموسوعة.

فمن الناس من ضعفت إرادته عن تحمل أعباء الحياة الزوجية، وضاقت نفسه ذرعاً بالمسئوليات التى هو فى غنى عنها، فهو فى تخوف من هذا الميدان، يخشى أن يصارع أحداث الحياة ومشاكلها فى هذا المحيط الذى تتلاطم أمواجه وتتلون تياراته. قال بعض الأعراب: لا تتزوج بأربعة فكل تأخذك بحمتها وأنت كال، ولا بثلاث كالأثافى [1] تصير بينها كالقدر فيكوينك، ولا باثنتين فإنهما يكونان كحمرتين، ولا بواحدة فإنك تمرض إذا مرضَتْ، وتحيض إذا حاضت، وتلد إذا ولدت. فقال له: قد نهيت عن كل ما أمر الله به، فما الذى أصنع؟ قال: كُوزان وطِمْران وعبادة الرحمن [2].

ولو حاول أن يلجأ إلى مصارعة الأهوال الزوجية فسيكون بعد أن يفوت

---

(١) الأثافى جمع أثفية، وهى الحجر الذى يوضع تحت القدر ليرفعه عن النار، والعادة أن توضع ثلاثة أثاف ليحفظ القدر توازنه عليها، وكانوا أحياناً يضعون حجرين وتجعل حافة الجبل كالحجر الثالث، ومن هنا جاء فى أقوالهم: هذا الشئ ثالثة الأثافى. أى ضخم وجسيم وخطير.

(٢) محاضرات الأدباء للأصبهانى، ج٢، ص١١٦.

سن الكهولة ويبأس من الحياة، وهذا مشاهد عند الطبقات التى كان الناس يدعونها « راقية » .

وناهيك بالأخطار المترتبة على هذا الزواج المتأخر، إنه فوق تعريض صاحبه فى الحياة السابقة إلى مزالق خطيرة، يجر وراءه آثارا سيئة، من حرص الشابة التى تزوجها على استكمال متعتها التى كانت تحلم بها، وقد يلجئها ذلك إلى طرق غير مشروعة، إلى جانب ما يتبعه من تدلل وإسراف فى اللهو والمتع، « راجع بحث اختيار الزوجين » .

على أن هذا الرجل يموت « أبتر » غير معقب، وإن أعقب فهى ذرية شاخت بذورها، فهى تعيش ذابلة ضعيفة، وإن قدر لولده أن يعيش أياماً فلن يكمل تربيته إلا الأوصياء بعد موته، فيعيش فى ذل أو تدلل يفسد خلقه، ولا يصلح أن يكون امتداداً لحياة أبيه .

ومن الناس من شحت نفسه، على الرغم من غناه، فيصعب عليه أن يخرج الدرهم من جيبه، لذلك يؤثر البعد عن حياة فيها بذل وإنفاق يخشى منه الإملاق .

ومنهم من يفكر فى زوجة تمتزج بها نفسه، وتملك عليه إحساسه وشعوره، فيها جاذبية قوية ومواهب عاليه، ولا يهمه كثيراً جمالها أو مالها، وهذا دأب ذوى الإحساس الرقيق الذين يؤثرون العيش فى الأبراج العاجية، فهو ينتظر حتى تهيئ له الطبيعة طلبته، فقليل من الفتيات أوتى حظاً من هذه الجاذبية التى ينشدها هذا الفيلسوف .

ونحن نأسف كثيراً لأن الشرقيات فرطن فى هذه الناحية التى نُظمت لها دراسات، وأنشئت لها معاهد فى البلاد الغربية، تدرس فيها سياسة الزواج بكل نواحيها .

ولعدم وجود مثل هذه الفتاة لجأ أصحاب هذه الفكرة إلى الزواج من

الأجنبيات، وفى ذلك من الخطورة ما فيه، قد سبق الحديث عنها فى بحث اختيار الزوجين وشروط الزواج.

تلك هى أزمة الزواج بأبعادها، من الأسباب والآثار ورأى الدين فيها، والحل لا يكون إلا بمعالجة هذه الأسباب على ضوء الدين الذى فصلنا أحكامه فى الأجزاء السابقة.

وإنى أهيب بأولياء الأمور ألا يضعوا العقبات فى سبيل زواج البنات، فإن الزواج عصمة لهن من مزالق كثيرة لا يداوى عارها، والحياة الحاضرة بمثيراتها وفتنها القوية تحتم على الناس أن يحصنوا أولادهم بالزواج، فإن رقابة الدين والضمير قد تضعف فى هذا الجو الصاخب «راجع نفسية الأنثى عند وجود ما يغرى ويجذب الانتباه فى كلمات سليمان بن عبد الملك التى تقدمت فى الجزء الثانى الخاص بالحجاب».

* * *